دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	المبهمات في الكتاب والسنة
المصدر:	الوعي الإسلامي
الناشر:	وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية
المؤلف الرئيسي:	السيد، عز الدين علي
المجلد/العدد:	س18, ع208
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	1982
الصفحات:	72 - 77
رقم MD:	438442
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	القرآن الكريم، السنة النبوية، المبهمات
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/438442

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

المبهمات في الكتاب والسنة

للاستاذ
عزالدين
علي السيد

في القرآن الكريم والسنة الشريفة جاءت الأخبار والأحكام من جهة الاسناد على وجهين : فهي تنسب مرة إلى الأعلام الظاهرة ، أو ما يشبه الأعلام في البيان وتحديد المقصود ، وتنسب أخرى إلى نكرات وأشباه النكرات في الابهام .

وقد ذكر العلماء للتعريف والتنكير دواعي متعددة ، يسوقونها على الأخص في علم المعاني من مصنفات البلاغة ، لا نطيل ها هنا بذكرها ،

ولكن الذي يعنينا في مقالنا هذا ، هو أن العلماء المسلمين بما جبل عليه الانسان من حب المعرفة ، والشغف بالاستطلاع ، واندفاع الأشواق إلى كشف اللثام عن المجهول ، لم يقفوا عند حدود المذكور في القرآن والسنة ، مكتفين بما يستفاد من الخبر في مجال التشريع واستنباط الحكم اللازم لتقويم الحياة ، بل ذهب كثير منهم لاستكمال الحقائق المستورة كل مذهب ، ليعرفوا من نسب إليه الخبر ، أو من كان سببا فيه ، ولعل سبباً من أسباب الابهام دفع الهمم إلى الاجتهاد والتقصي ، وقد جاء الاسلام الحنيف يحث الأفكار على النظر والتأمل والحركة ومحاربة الجمود ، للوصول عن طريق المعلوم الظاهر إلى المستور الخفي .

أنواع المبهم .

وهذا المبهم منه ما يسهل الوقوف على بيانه ، لارتباطه بحادث معروف البطل في الأصل ، فاذا نزل الوحي

بالخبر أو الحكم دون بيان ، عرف النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن حضر من الأصحاب ، في حق من نزل ، أو بسبب من نزل ، حين يجيء مبهما أو مكنيا عنه .

ومن هنا ، عين الصحابة والتابعون طائفة من مبهمات القرآن ، لاتصالهم بالأحداث ، أو بمن اتصل بالأحداث فعرف المراد بالمبهم .

ومن أمثلة ذلك :

(١) قوله تعالى : (**كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم**) آل عمران /٨٦ إذ عرفوا أن مدار الحديث على الحارث بن سويد لشيوع قصته .

(٢) وقوله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم**) المائدة/١١ فقد اشتهر في ذلك غورث بن الحارث ، الذي شام السيف في يده ، وهو يريد قتل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في ظل شجرة قبل نجد كان يستظل تحتها .

(٣) وقوله تعالى : (**ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن**) التوبة/٧٥ فقد اشتهر بذلك عندهم ثعلبة بن حاطب ومعتب ابن قشير من بني عمرو بن عوف .

(٤) وقوله تعالى : (**قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله**) المجادلة/١ وقد قالت خولة ـ رضى الله عنها ـ « في وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة » .

ومن المبهمات في القرآن أو السنة نوع يصعب بيانه وهو ضربان :

(١) ما استأثر الحق ـ جل علاه ـ بعلمه ، وهذا لا مطمع فيه من عاقل ، كما جاء في قوله تعالى : (**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون**) الأنفال/٦٠ فعلم هؤلاء الآخرين مقصور على الله وحده ، ومنه « مفاتح الغيب » التي لا يعلمها إلا هو .

(٢) ما لم يشع خبره لسبق تاريخه أو انطماس حقيقته ، فلا يعرف الا بتوقيف من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو ببيان العالم الثبت من أهل الكتاب .

ومن أمثلة ذلك :

(١) قوله تعالى : (**واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها**) الأعراف/١٧٥ فقد بينه أكثر المختصين بالتفسير ببلعم بن باعوراء من طريق الدارسين للديانات السابقة .

(٢) وقوله تعالى :(**وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا**) الكهف/٨٠ فقد بين البخاري عن مثل هذا الطريق أن اسم الملك ـ فيما يزعمون ـ هدد بن بدد ، وأن اسم الغلام جيسور .

(٣) ما جاء في حديث قصة الأخدود

عن الملك والراهب الساحر والغلام الذي آمن ، من أن اسم الملك يوسف ذونواس ، وأن اسم الغلام عبد الله ابن التامر .

(٤) ما جاء في حديث قصة جريج العابد من خبر المتكلمين في المهد ، إذ سموا الغلام الناطق لتبرئة جريج بابوس ، وسموا أباه الراعي الواقع بالمرأة صهيبا .

(٥) ما جاء مبهماً في خبر ، ثم بينه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في آخر ، كحديث رد الشمس على يوشع ابن نون ـ عليه السلام ـ وحديث أبي رغال ، الذي كان الاخبار بقبره وما دفن فيه من غصن الذهب علامة من علامات النبوة ،وربما كان إلى اليوم في عالم الغيب لو لم يخبر عنه رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه .

أسبق المهتمين بهذا الفن

كان أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسبق من وضع أساس فن البيان للمبهم ، وقد أخرج أحمد والبخاري وغيرهما من حديث فروة بن مسيك « وأنزل في سبأ ما أنزل ، فقال رجل : يارسول الله ، وما سبأ ؟ أرض أم امرأة ؟ قال : ليس بأرض ولا امرأة ، ولكنه رجل ولد عشرة من العرب ،فتيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة ، فأما الذين تشاءموا : فلخم ، وجذام ، وغسان ، وعاملة ، وأما الذين تيامنوا : فالأزد ، والأشعريون ، وحمير ، وكندة ، ومذب حج ، وأنمار . فقال رجل : يارسول الله ، وما أنمار ؟ قال : الذي منهم خثعم وبجيلة » .

وعلى سبيل التعيين كان أسبق الصحابة وعلماء الاسلام في هذا الفن حبر الأمة وعالمها : عبدالله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فيما روي البخاري ومسلم في الصحيحين أنه قال : « مكثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسأل هيبة له ، حتى خرج حاجاً فخرجت معه ، فلما رجع فكنا ببعض الطريق عدل إلى الأراك لحاجة له ، فوقفت له حتى فرغ ، ثم سرت معه فقلت : يا أمير المؤمنين ، من اللتان تظاهرتا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أزواجه ؟ فقال : تلك حفصة وعائشة . قال : فقلت له : والله إن كنت لأريد أن أسألك عن هذا منذ سنة فما أستطيع هيبة لك ! قال : فلا تفعل: ما ظننت أن عندي من علم فسلني ، فان كنت أعلم أخبرتك »

كما روي عنه أنه ظل يطلب بيان الذي خرج من بيته مهاجراً إلى الله أربع عشرة سنة ، وقد وصل ـ رضي الله عنه ـ إلى بيانه بعدها ،كما جاء عنه فيما أخرجه أبو يعلي وابن أبي حاتم والطبراني بسند رجاله ثقات قال : « خرج ضمرة بن جندب من بيته مهاجراً ، فقال لقومه : احملوني فأخرجوني من أرض الشرك إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمات في الطريق قبل أن يصل إلى النبي ـ

صلى الله عليه وسلم ـ فنزل الوحي :(ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله ... » النساء/ ١٠٠

وعنه ـ رضي الله عنه ـ فيما روى مسلم ـ أنه تماري هو والحر بن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى ـ عليه السلام ـ فقال ابن عباس : هو الخضر ، فمر بهما أبي ابن كعب الانصاري ، فدعاه ابن عباس فقال : يا أبا الطفيل ، هلم إلينا ... »

وهذا الصنيع من الصحابة ومن حبر الأمة على الأخص قد شجع حركة النفس في البحث عن بيان المبهم ، فظهر ذلك عند طائفة من المشتغلين بالتفسير والحديث ورجال المغازي والسير ، مما نراه قد سبق إليه ابن جريج ، والزبير بن بكار ، ومحمد بن إسحاق ، والواقدي وغيرهم ، حتى تكونت طائفة من المعرفة لدى آخرين مكنتهم أن يخرجوها في كتاب ، فأصبح لهذا الفن بعملهم المحمود مراجعه ، يهرع إليها الرواة والفقهاء والمؤرخون ، لما يرون من أن نسبة الأحكام والأخبار إلى المعلوم آكد توثيقا للحقائق وإقناعا .

وهذا الجهد الحميد يظهر لنا في دراسة الكتاب المجيد والسنة الغراء على سواء ، وأول ما يطالع المتقصي منه كتاب (**التعريف والاعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام**) وهو للعالم الجليل عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي المتوفي سنة (٥٨١) هـ ـ يقول في مقدمته مبينا مزية عمله ومعرفا به :

« ... قصدت أن أذكر في هذا المختصر الوجيز ما تضمنه كتاب الله العزيز من ذكر من لم يسمه فيه باسمه العلم : من نبي ، أو ولي ، أو غيرهما . من آدمي ، أو ملك ، أو جني ، أوبلد ، أوكوكب ، أوشجر ، أو حيوان له اسم علم قد عرف عند نقلة الأحبار والعلماء والأحبار ، إذ النفوس من طلاب العلم إلى معرفة مثل هذا متشوقة ، وبكل ما كان من علوم الكتاب متحلية ومتشرفة ، وإذا كان أهل الأدب يفرحون بمعرفة شاعر أبهم اسمه في كتاب ، وكذلك أهل كل صناعة يعنون بأسماء أهل صناعتهم ويرونه من نفيس بضاعتهم ـ فالقارئون لكتاب الله العزيز أولى أن يتنافسوا في معرفة ما أبهم فيه ، ويتحلوا بعلم ذلك عند المذاكرة ... »

وقد جاء تلميذه محمد بن علي بن عساكر فذيل على كتاب أستاذه بكتابه (التكميل والاتمام) وعقبهما بدر الدين بن جماعة فجمع بين الأثرين في كتابه (التبيان في مبهمات القرآن) ولعل ختام هذا الفن في مبهمات القرآن كتاب السيوطي (مفحمات الأقران)

أما مبهمات الحديث فأول ما يذكر منها النووي في التقريب (مبهمات عبدالغني بن سعيد) الذي توفي سنة ٤٠٩ هـ ، وهو كتاب كثر نقل العلماء من بعده عنه ، إذ قل منهم من لا يذكره مرجعا لبيان مبهم ، وقد جاء بعده الخطيب البغدادي المتوفي سنة

٤٦٣ هـ فأخرج في الفن كتابه (الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة) وهو معملة كبرى في بابها ، إذ يتضمن ثمانية وثلاثين ومائتي خبر ، كشف الابهام عن مبهمها بما ساق من شواهد وبما أيد من حجج ، تدل على جودة حفظ وسعة دراية وواثق علم ، وقد رتب كتابه ـ رحمه الله ـ بترتيب المبهمات على حروف الهجاء ، قائلا في مستهله :

« هذا كتاب أوردت فيه أحاديث تشتمل على قصص متضمنة ذكر جماعة من الرجال والنساء أبهمت أسماؤهم وكنى عنها ، وجاءت في أحاديث أخر مبينة محكمة ، فجمعت بينها ، وجعلت إثر كل حديث فيه اسم مبهم حديثا فيه بيانه ، ورتبت ذلك على نسق حروف المعجم ، والله تعالى أسأل توفيق العمل بطاعته ... »

وقد أثنى عليه النووي ، واختاره لتلخيصه والبناء عليه في كتابه (شرح المبهمات)

ولعل أظهر عمل في الباب بعد كتاب الخطيب هذا ، كتاب (غوامض الأسماء المبهمة ، الواقعة في متون الأحاديث المسندة) للعالم الزاهد المحدث خلف بن عبد الملك بن بشكوال مؤرخ الأندلس ومسندها ، فانه ظل مثابراً دءوباً حتى جمع ثلاثة وعشرين وثلاثمائة خبر ، عقب رواياتها الواردة على الابهام بالروايات المبينة ، وقد التقى مع الخطيب على ما يقارب المائة والعشرين ، وانفرد بالباقي ، وأتى على ما اجتمعا عليه بروايات غير التي استشهد بها الخطيب من جهة الاسناد حينا ومن جهة المتن حينا ، وقد يختلف معه في بيان المبهم مستنداً إلى حجته . وهذا الكتاب مع سابقيه دعائم الفن عند من جاء بعدهم من العلماء ، ولا يعيب ان بشكوال في (غوامض الأسماء) الا أنه لم يرتب المبهمات على أي سنن يسهل انتفاع الطلاب به ، مما حثني على وضع الفهارس التي تيسره .

ومن تتمة الكلام في هذا الباب ، أن يعلم أن لأبي الفضل المقدسي المتوفي سنة ٥٠٧ هـ مختصرا لطيفا في زهاء خمس وسبعين صفحة سماه (إيضاح الاشكال) وهو سريع العطاء لأنه إلى الفهرسة المفيدة أقرب ، إذ لم ير الحاجة إلى ذكر النص والسند والحجة ، فأعطى المبهم وبيانه على طريق اللمحة الدالة لأهل التخصص في الحديث .

وقد جاء ولي الدين العراقي المتوفي سنة ٨٢٦ هـ بكتابه (المستفاد من مبهمات المتن والاسناد) ملخصاً ما خلف الخطيب ، وابن بشكوال ، والنووي ، وابن طاهر ، مرتبا كتابه على الأبواب ترتيباً دقيقا ، مراعيا بيان المتفق عليه والمختلف فيه ، مشيراً إشارات خفيفة كافية إلى مصادر الاحتجاج عند كل منهم ، وهو بذلك غنية المتعجل ، الذي تغنيه الاشارة عن طول العبارة .

وممن حبب الله إليهم هذا الفن الحافظ المحقق الملهم شهاب الدين أحمد بن حجر المتوفي سنة ٨٥٢ هـ ، فقد ألف في المبهمات على الاستقلال كتاب (الأحكام لبيان ما في القرآن

من الابهام) كما يشير إليه كشف الظنون (ص ٢١ : ٢) كما تذكر له المصادر الأخرى وأدلة المكتبات(ترتيب المبهمات على الأبواب) و (الأجوبة الواردة عن الأسئلة الوافدة) وله فصل طويل في (هدى الساري) الذي جعله مقدمة لفتح الباري ، يذكر فيه بيان مبهمات صحيح البخاري على ترتيب أبوابه ، وهو الفصل السابع الذي يقع في زهاء ست وتسعين صفحة ، مع ما له من البيان في شرحه للصحيح عند المناسبات ، وما يضاف إلى ذلك من فوائده وتنبيهاته في بقية كتبه وتخريجاته مثل (تلخيص الحبير) وسواه .

وقد جاء في هذا الفن مع السابقين علماء تذكر مبهماتهم في شروح المتأخرين ــ ولا أحسبها إلا صدى تلك المصادر ــ منها مبهمات البلقيني (الافهام بما وقع في البخاري من الابهام) و (ترتيب المبهمات على الأبواب) لمغلطاي بن قليج ، و (مبهمات العمدة) للبرماوي ، و (الأحكام) لابن الطلاع .

إن هذا الحشد من الجهود المحمودة ، التي بذلها السادة من علماء الأمة من وقت الصحابة إلى اليوم ، هي الرد الحاسم على المستهين بهذا الفن ، الذي يتهكم بالباحثين عن المبهم ، عاداً ذلك من الفضول ونقص السداد ، رائيا أن مناط الفائدة هو الخبر والحكم في ذاته ، ولا مشاحة منا في ذلك ، وإنما المشاحة في أن يتهم قاصر الهمة واهن العزم ، من وهبهم الله الصبر على استكمال طرق العلم ، وثقابة الفكر لاستكناه الحقائق ، وقد يكون من حسن التوجيه لمثله أن يقرأ في خاتمة مقالنا ، ما قال صاحب المستفاد في مقدمته :

« وكم له من فائدة تستجاد ، أدناها تحقيق الشيء على ما هو عليه ، فان النفس متشوقة إليه ، ومنها أن يكون في الحديث منقبة لذلك المبهم ، فتستفاد بمعرفته فينزل منزلته ، ويحصل الامتثال لقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « أنزلوا الناس منازلهم » ومنها أن يشتمل على نسبة فعل غير مناسب إليه ، فيحصل من تعيينه السلامة من جولان الظن في غيره من أفاضل الصحابة ، ومنها أن يكون ذلك المبهم سائلا عن حكم عارضه حديث آخر ، فيستفاد بمعرفته : هل هو ناسخ أو منسوخ ، بأن عرف زمن إسلام ذلك الصحابي ، وكان أخبر عن قصة شاهدها وهو مسلم . إلى غير ذلك من الفوائد التي لا تخفى . »

أما بعد ، فما أحرى هذا الفن بأن يكون له مكان في معاهد الحديث ، وما أجدر هذه الجهود المبذولة فيه بأن تحقق وتنشر ، فانها جانب عامر من جوانب التراث ، لعلمائه الحق في أن ترى أرواحهم ثمر جهدهم حيا في حقول المعارف ، مقترنا بالدعاء لهم والترحم عليهم ، محتفلا به ومستفاداً منه ، وهو شريف بشرف القرآن ، كريم بكرامة السنة ، وبالله التوفيق ومنه السداد ولا حول ولا قوة إلا به .